مُناقشات

حول خطّة « الآداب »

تناول الدكتور بهي الدين زيان في العدد السابق من « الآداب » دعاوى الادباء المحدثين بالتحليل والنقد . وقد عرض للالتزام في الادب الذي تدعو له هذه المجلة فقال :

« والالتزام في رأيي مثل كثير من الاتجاهات الحديثة امر قديم عرفته الآداب او الادباء وان لم يكن لديهم هذا الاسم او هذا التوسع في شرحه ، ولكن جدة اللفظ قد صنعت مذهباً على رأي المحدثين ، كما ان جدة الالفاظ قد صنعت اكثر من مذهب وهدمت ادباً على رأي المحدثين ايضاً ... ومن غريب الأمر ان تجد المعارك على صفحات نفس هذه المجلة الجديدة في دعوتها تثور حول القديم والحديث ، ويختلف اغلب كتاب هذه المجلة في الرأي او في التقدير ، حتى بالنسبة الى الآثار الماضية — وشغلت المجلة صفحات من كل عدد في مناقشات حول مدلول الالفاظ مرة او حول تقدير الآثار الادبية مرة اخرى ، ويختلف ناقدان حول تقدير الشعر العربي القديم ويزول هذا الخلاف ثم ينتهيان الى رأي واحد ، هو ان في بعض القديم حياة — وهذا اقرار بصلاحيته حتى في مجال الدعوة الالتزامية ، ومعنى هذا ان حقل هذا الادب الحديث لم ينكر العناصر القديمة او الاشجار التي نبتت منذ الف عام ، فوجد فيها الظل الذي تريده الانسانية في بعض جوانب حياتها وكان الجديد بجانبه مكملاً لهذا الظل او أشجاراً اخرى تغرس بجانب تلك الاشجار في هذا الحقل الواسع ... »

ولا بد « للآداب » من كلمة في هذا الموضوع توضح بها مسلكها . فقد خيل للدكتور زيان ان جدة لفظ « الالتزام » هي التي حلقت هذا المذهب، فكأنما يعني اننا انما اعتنقنا مذهب الالتزام لأنه شيء جديد ، ثم اهتم بالتدليل على ان هذا امر قديم عرفته الآداب او الادباء . ولو رجع الكاتب الفاضل الى فاتحة العدد الاول من المجلة لأدرك ان ايثارنا لهذا المذهب دون سواه مردود قبل كل شيء الى حاجتنا الحيوية لأدب فعال واع يصدر عن المجتمع ويصب فيه ، وما دام مثل هذا الادب يوازي الالتزامية ، فلم يكن لنا بد من الاشارة الى هذه اللفظة بالذات لتقريب هدفنا المقصود الى الاذهان . فالحق ان دعوتنا أشمل من دعوة الالتزام وإن كانت تتضمنها ، ولعل في هذا دليلاً على ان وعينا لوضعنا الفكري هو الذي أملى علينا هذا المسلك، وليست هي رغبتنا في الاقتباس او الافتتان بالجدة .

والحق ان انحراف الدكتور زيان في إدراك رسالتنا هو الذي برر استغرابه قيام المعارك على صفحات المجلة حول القديم والحديث واختلاف الكتاب في الرأي والتقدير الخ ... فان سلوكنا خطة معينة لا يبرر إطلاقاً اغلاق الباب دون المناقشات والمطارحات ، لا سيما اذا كانت هذه المناقشات والمطارحات تحلل هذه الخطة وتحاول ان تقومها ، وقد تؤدي آخر الأمر الى اثبات صلاحيتها وأهميتها . ثم ان « الآداب » تنزع الى ان تكون سجلاً صادقاً لواقع النشاط الفكري في البلاد العربية ، ومن الطبيعي ان تقوم المناقضات والمفارقات في ثنايا مظاهر هذا الواقع . على ان هذا لا ينسيها ان لها رسالة تؤديها. فهي من اجل ذلك تؤثر نشر ما يماشي خطتها ويتلاءم وهدفها، فان الواقع عقيم اذا لم يطعم بنزوع مثالي .

« الآداب »

حول النقد الذي نريد

قرأت في العدد الثامن من الاداب (آب — ١٩٥٣) فاتحة العدد ، الفاتحة التي كتبها الدكتور سهيل ادريس وعالج فيها مشكلة مهمة من مشكلاتنا الادبية الملازمة لنهضتنا الادبية في طورها الحديد ! وقد سجلت على الفاتحة المذكورة ملاحظات كشأني في مطالعاتي الادبية وخصوصاً النقدية منها ، وبقيت الاشارات او الملاحظات على حالها لم ازد عليها ولم انقص منها ، حتى صدر العدد التاسع من الآداب ، ففتشت سرد العدد لعلي اعثر على من يكفيني عبء مناقشة مقال الدكتور سهيل ، فلم افز ببغيتي ، وتحولت الى الباب الطريف الذي ابتكرته « الآداب » ، والذي هو في حد ذاته ، نقد موجه من نوع النقد الذي يريده الدكتور ، وذلك الباب هو قراءات الاساتذة في كل عدد مضى من الآداب ، وكانت قراءة الدكتور نقولا زيادة في العدد الثامن ، عميقة جذابة ولكنه عندما (وقف) مع الدكتور سهيل ادريس حول مقاله (النقد الذي نريد) كانت وقفته قصيرة ، وكانت ملخصاً مركزاً لها ، وقد اكتفى الدكتور زيادة في فقراتها الاخيرة ان (ربط) بين المقالة وبين بحث الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا عن الادب الامريكي الحديث ، واستنتج من ذلك الربط قوله (وكأني بامنية الدكتور ادريس تتحقق في امريكا، لكني آمل ان لا نقف عند هذا الحد في التحقق بالنسبة الينا .) وعلى هذا ارى لزاماً علي كقارىء يهمه متابعة التيارات الفكرية في الاجزاء الحية من بلاد العرب، أن اعود الى ملاحظاتي واشاراتي وان اقابل الدكتور سهيل وان اقف معه وقفة (اطول) من وقفة الدكتور الفاضل نقولا زيادة ... يقول الدكتور سهيل ادريس في استنتاجه عن مفهوم النقد الادبي في الادب العربي المعاصر (... وبعد فان النقد في ادبنا العربي الحديث ، وفي ايامنا هذه على التخصيص، بعيد ان يؤدي الرسالة المفروضة فيه ، فهو في كثير من الاحيان مجموعة ملاحظات متناثرة لا توجهها غاية ولا تتوجه الى غاية ، وهو في احيان اخرى تملق مضحك او تجريح مغرض لا يلتزم منطقاً ولا يقدم برهاناً ... الخ .) ورسالة النقد في أدبنا الحديث البعيد اداؤها على الوجه الصحيح — على رأي الدكتور — والتي أشار اليها في استنتاجه السابق ، عرفها في سطور سبقت الاستنتاج ، وكانت (... اما الناقد صاحب الرسالة ، فهو الذي يقوم الأثر في مرآة مجتمعه ، ويضعه في موضعه من حياة الناس الذين يقرأونه ، فيؤرخ به فيما هو يقومه . ولن يكتمل التقويم في الحق اذا لم يشد الاثر الادبي الى البيئة والمجتمع ، فيسجل بذلك مرحلة من مراحل التطور الادبي الذي يتجه اليه هم الادب كله في النتيجة .) وقبل ان اناقش الدكتور المحترم في هذه النقاط ، ارى ان نتفق مقدماً في ان نهضتنا الادبية في شتى الفروع، ومختلف الصور تخطو خطوات موفقة رغم العوائق والحواجز ، وهي في خطواتها انما تبذر بذوراً جديدة في البيئة العربية الرجعية التي لم تتعود المفاهيم الصحيحة والآراء الصائبة في النقد والشعر والمقال والمسرحية ... الخ فاحكام النقد في الادب العربي لم تتعد قبل عشرين سنة مضت (التملق المضحك والتجريح المغرض الذي لا يلتزم المنطق ولا يقدم البرهان) على ما يقول الدكتور الفاضل ، ولكن ... ولكن نهضتنا الادبية تخترق الظلام وتدوس الاشواك والاحجار ، اذ بزغ نقاد كبار في مصر وسوريا ولبنان اشاعوا الثقافة النقدية وجعلوا المقاييس والموازين في مفاهيم النقد وتمحيص الآثار الادبية تقرب الى الصواب وتنسق ورسالة الناقد الذي يقوم الاثر الادبي في مرآة مجتمعه على

ما يقول الدكتور ايضاً ، ومصداق ما اقول الكتب والدراسات النقدية ومنها نشرة (الديوان) الدورية التي كان يصدرها الاستاذان المازني والعقاد ، واكثر بحوث الاستاذين في النقد المعاصر ، ومنها ايضاً كتاب (شوقي وحافظ) للدكتور طه ، والاجزاء الأخيرة من (حديث الاربعاء) له ايضاً . ودراسات الدكتور محمد مندور القيمة عن الأدب الحديث (كالميزان الجديد) و (نماذج بشرية) والمقالات النقدية التي كان يكتبها المرحوم عمر فاخوري والاستاذ علي ادهم وسيد قطب وحسين مروة والدكتور ناصر الحاني ... وغيرهم ، عند تعرضهم للآثار الادبية الجديدة ، ان هذه النماذج وغيرها دليل صدق على ان النقد العربي الحديث يسير الى هدفه بحيوية وتحسس وهو — أعني النقد — يتوجه الى غايته بقياس الأثر يصور المجتمع ، وهو ليس — على ما أرى — مجموعة ملاحظات متناثرة لا توجهها غاية ولا تتوجه الى غاية كما يقول الدكتور سهيل ادريس .

بغداد **محمود العيطة المحامي**

حول قصيدة « البعث الافريقي »

في عدد الآداب التاسع ، وهو عدد مليء بقصائد ومقالات وقصص أكثرها قيم دسم بالفكرة والاسلوب ، وتدور مواضيعها حول ما يهم العربي الواعي ، كما تشبع نهم الشاب القومي الى قصائد مثل « ايتها العروبة » و « موت شريد » ومقالات مثل « مشكلة الشخصية العربية » وقصص وروايات مثل رواية « طريق العودة » وقصة « الطريق » ، نطالع ويا للاسف في مكان بارز من المجلة على قصيدة « بعث أفريقيا » لناظمها الاستاذ محمد مفتاح الفيتوري .

ومن خلال ابيات هذه القصيدة يخرج علينا الناظم بقومية جديدة ، هي « القومية الافريقية » ، ويتغنى « بامة افريقية » يدعي أنه أحد أفرادها ، وهذا ظاهر جلي في بعض ابياتها ، واليك مثلا على ذلك بعض الابيات مخاطباً بها أفريقيا :

« أفريقيا .. أفريقيا النائية يا وطني يا أرض اجداديه »
« اني اناديك انادي دمي فيك .. انادي امتي العاريه »

ما هي الصلات التي تربط أجزاء هذه القارة بعضها ببعض ؟ أكونها قطعة متصلة من الارض ، يكفيها لكي تؤلف وطناً واحداً ؟ وما هي هذه الاسس التي يضعها كحجة لدعم رأيه في ان هذه القارة تؤلف وطناً واحداً كما قال ؟ أو هل تضم أفريقيا أمة واحدة لكي تؤلف وطناً واحداً ؟ واذا كانت كذلك فما هي مقومات هذه « الامة » الافريقية التي يدعيها ناظم القصيدة اذا كان يعني ما يقول ، وكان قوله هذا صادراً عن ايمان فجر قريحته من أجلها ؟

ما هي الصلات التي تربط أفراد « الأمة » الأفريقية وجماعاتها بعضهم ببعض ؟ أهي صلة اللغة المشتركة ؟ وهي مفقودة ؟ أم هي صلة التاريخ المشترك وبعض أجزاء أفريقيا لا يعرف لها ماض يسمى تاريخاً . وهذه الأجزاء منها التي لها تاريخ ، لا يوجد اتصال او اشتراك في تاريخ كل منها ولو لسنوات معدودة قليلة ، وان قوله :

« عريانة الماضي بلا عزة تنوح الآتي .. ولا سؤدد »

يؤيد رأيي بأن بعض أجزاء أفريقيا لا تاريخ لها ، ولكنه لا ينطبق على الجزء العربي من أفريقيا ذي التاريخ الحافل المجيد ، قديماً وحديثاً .

أم هي صلة الآمال والمصالح المشتركة ؟ واذا كانت كذلك فما هي الآمال والمصالح التي تشترك فيها افريقيا العربية وأفريقيا الجنوبية او الكونجو مثلا . واذا كانت هذه الصلة في العادات المشتركة ، فاين هذا الاشتراك في العادات بين مختلف أجزاء القارة الأفريقية ؟

ويقول الناظم :

« أفريقيا .. أفريقيا .. استيقظي من ذاتك المظلمه »
« كم دارت الأرض حواليك كم دارت شموس الملك المضرمة »

وقوله : « أنت ما زلت نصفين لاقدارك مستسلمة »

أينطبق هذا القول على كل أفريقيا ؟ بالطبع لا . ولكنه يمكننا أن نقول إنه ينطبق على بعض أجزاء أفريقيا الوسطى وليس على مصر وليبيا أو المغرب العربي كله ، وهي الاجزاء العربية من أفريقيا ؟ أو هل تدور الأرض حول الوطن العربي بجزئيه وشعبه مستسلم يغط في رقاده العميق ؟ ألا تراه استيقظ كله ، منذ أمد ليس بالقصير ، وفي وقت واحد تقريباً ليناهض المستعمر لاسترجاع حريته ، ومقامه بين الأمم ؟ ولكن اين امم اواسط افريقيا من هذا ؟

جميل وجميل جداً ان ينتصر الانسان الحر للشعوب المستعمرة المظلومة ، القابعة في زوايا التاريخ المظلمة ، ضد مستعمريها وجلاديها ، ويساعدها على نيل حريتها ، ولكن الافضل ان ينتبه الانسان الى وطنه نفسه ، اذا كان لا يزال بعد في نضال مستميت ضد المستعمر الدخيل ، وان يسعى الى توحيد اجزاء وطنه الممزق بحدود مصطنعة وضعها المستعمر لخدمة مآربه . وعندما يصبح وطنه حراً موحداً قوياً ، في ذلك الوقت يمكنه ان يمد يد المساعدة والمعونة المجدية للامم الاخرى التي لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار الغاشم ، وفي جهل وتأخر .

وفي الختام لي كلمة أخيرة أسوقها الى حضرة الناظم . وارجو ان يأخذها بعين الاعتبار وهي : أنه اذا اراد ان يطرق موضوعاً جديداً ، فليطرقه في غير هذا المجال . لأنه غير مستحب ان يخلق قومية جديدة لا اساس لها ، من اجل أن ينظم قصيدة ذات موضوع مستحدث ، هذا اذا كان هناك استحداث او تجديد .

اديب قعوار

حول موسيقى الفاصلة*

حضرة الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل

لا بد لي من الاعتراف بالفضل وتقديم جزيل الشكر لأنك كنت من السباقين الى معالجة هذا البحث المغمور ذي الفعالية الصامتة ... ولطالما نبذ الجمهور — بدافع غامض — كتاباً فحطه الى الحضيض وأغرم بآخر فرفعه الى المجد .. والموسيقى بعامة وموسيقى الفاصلة بخاصة تلعب في ذلك كله دور القدر الذي يدور فيرفع ويخفض دون أن يدرك الناس السر والسبب ..!

علك يا سيدي حين تتخذ مثلاً من سقوط الطائر وكيف أنه يخفف من خفق جناحيه ثم يحط على ريشات ذيله لئلا يتأذى .. كنت تقصد بذلك من الطيور العصفور المسكين . وكأني بك تريد ان تتجاهل النسر والصقر وهما أجدر بالذكر والقياس ولهما طريقتها الشهيرة في السقوط المفاجيء والانقضاض الحاد المباغت المتسارع على الفريسة المعينة المنشودة ... وإذن فالسقوط لا يكون دائماً على طريقة واحدة انما يختلف باختلاف الغاية المهدوفة .

قد تدور الآلة وتهدأ ، وتهدأ وتسترخي ، ثم تسكن فتنام كما تقول يا سيدي ... اما الفنان فأظن ان عليه ان يبدأ فيتحرك فينطلق فيثور فينفجر ... وذاك مثل الأديب الذي يكتب من قلبه لا من لسانه ...

(*) «موسيقى الفاصلة» موضوع مطروح للمناقشة في العدد الثامن بقلم الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل .

ولعل الانسان يعجب منك في مثالك هذا إذا عرف انك اديب ..! فمتى كان يقاس الناس بالفولاذ والحديـــد ..!؟ ومتى كان يشبه الأديب بالآلة الخرساء . . !؟

ثم انك يا سيدي تفرض على الاديب ان يسير على السنة ككل شيء حوله وأن ينصاع للطبع ويرجو السلامة.. أفلا تخشى ان تخنق بذلك النبوغ وتقتل العبقرية في الادب ..!؟ لأنـــك بعملك هذا تشد الكاتب بغل من حديد الى جدار أصم فيأبى ويجمح كما تجمـــح الفرس الأصيلة حين تشد الى حلقة في جدار منعزل ...

★

تقول في احد المقاطع: «الفاصلة تحتاج في نهايتها الى بطء وهدأة ..» أفلا عرفتنا اي الفواصل تقصد وفي اي انواع الكلام تفرض هذا النمط المتباطىء من الفواصل ..؟! ام ان الفواصل في عرفك كلها من نوع واحد لا تتباين مهما اختلف الموضوع واختلف المقام..أفصبت كلها من رصاص في قالب واحد..؟!

ثم لنفرض ان المهتدي الى الخير – حسب تعبيرك الفخم – يعرف ان « نهاية الفاصلة هي الخرزة تفصل بين الخرزتين في النظام وانها كانت في آيات التنزيل بمنزلة القافية في البيت تدل على ان البيت قد انتهى الى بدء جديد .. » افتعتقد ان معرفته لذلك تفرض على الفاصلة ان تردد دائماً على نسق واحد فتنتهي الى بطء وهدأة ..؟!

ثم من قال إن القافية في البيت تكون دائماً على طريقتك في التليـــين والتبطيء وان هذا التليين والتبطيء هو وحده الذي يستطيع ان يدل على على انتهاء البيت الى بـــدء جديد ..؟ ثم من قال ايضاً ان الفاصلة في آيات التنزيل تكون على نفس ذلك النمط المتساوق الذي لا يبدل ..

هلا تكرمت علينا بأمثلة فدعمت ادعاءك ..!

ثم اني لأعجب كل العجب كيف توصلت الى ان جميع الكتاب والخطباء الذين ملكوا ازمة القيادة والسيادة لم ينس احد منهم ان يكون دائماً وفي نهاية كل فقرة مبطئاً ملينا كالضارب على العود يهدىء النغم اذا قطع ...؟!

ثم من هذا العازف البليد الذي دائماً يهدىء النغم اذا قطع ..؟! فيسير بذلك على وتيرة واحدة في كل الانغام .

★

لا شك ان السامع اللبيب والقارىء الفطن يذهب وراء الـــكلام المنغوم وينصرف عن غـــيره ، وحقاً ان المقال يجب ان يكتب بفيض دافق من ساحر الأنغام ...

لكن اتعتقد ان ساحر الانغام هذا لا يكون إلا في الفاصـــلة المليئة المهدأة ...؟! لكل موضوع ساحر الانغام ملائم قد يلين وقد يشتد، قد يتباطأ وقد ينقطع ، قد يهدأ وقد يثور .. واللفظ لا يدعم المعنى الا اذا تجلت فيه الموسيقى التصويرية اللازمة فالمعنى هو سيد موسيقى الفاصلة يكيفها كما يشاء...

ولعل اشد المقاطع تجنياً واكثرها جرأة في الادعاء هو مطلع ذاك المقطع الاخير الذي تتهم فيه الناس من قبلنا بأنهم لم يؤسروا ببعض الخطباء والادباء إلا لأنهم سمعوا بمقاطع الاصوات والسطور نغماً يهدأ بعد علو ويبطىء بعد سرعة ويطمئن بعد عنف ...

ما للناس والعدوان حتى يتحيزوا لنوع واحد من الفواصل دون غيره مع ان لكل نوع مكانته ..!؟ النقص واضح في قول كهذا لانه اعرج فهو يذكر نوعاً واحداً من الانغام والفواصل ويهمل كل ما عداه .

★

وختاما لك رأيك ولغيرك رأيه .. فسر انت على السنة مقلداً طالبا السلامة واقرأ ما شئت وانبذ ما شئت ..

ولتقف الآلة كما تشتهي فذلك لن يضر الادب في قليل او كثير لأن الآلة شيء والفاصلة شيء آخر ...

حلب **جمال الأسود**

حول تبسيط اللغة العربية

يؤلمني ، ويؤلم كل عربي مخلص ، يحس قسوة التجربة التي تجربها امته ، ويعيش عنف المرحلة التي تمر بها في وقتها الحاضر ، يؤلمنا ان نرى بعضا من مثقفينا (الكبار) يتوزعون في خطين منحرفين للتفكير ، لا يورثان إلا المشاكل والأذى .. ففريق منهم تأثر بالفكر الاجنبي تأثراً سلبيا جعله يعيش بالشذوذ ، وينسج حوله من شذوذه خيوطا عنكبوتية يعتقد انها شبكة تصطاد الحيتان .. (فلبنانية) اللبنـــاني ، و (مصرية) المصري ، و (سورية) السوري ، اخطر شيء من هذا النوع ، واخطر منه ان ينحط التفكير الى الحالة الاقليمية الضيقة ، والى ما هو احط منها .. الى استعباد الأرض لعقل المفكر (المبدع) ، مع ان للارض تأثيرها، وفيها صورها الجميلة ، ولكن ليست الى الدرجة التي تستدعي ان يعشقها الناس بهذا الشكل المفتعل، ويعبدوها بهذه الوثنية المشوهة .. والخطر المحدق كامن في صميم هـــذه الاقليمية البشعة وهذه (الأرضية) المملة .. ولكن اين من تدعوهم للمنح والعطاء ، والأيادي قد شدت بأصابعها جميعاً حتى لم تعد تدري ماذا تحمل . وفريق تأثر بالفكر الاجنبي تأثراً ايجابيا ، ولكنها ايجابية اخطر من تلك واشمل .. انها ايجابية استعمارية تحمل نفسها بشكل منظم وموجه ، وتركز قوتها وضرباتها على الآثار الثقافية الخالدة للأمة ، بغية تحويلها ، واضعافها ، وطمس معالمها . وهكذا تغزو هذه الايجابية فكرنا العربي وثقافتنا العربية، لتحويلها الى فكر اجنبي، وثقافة اجنبية . وتجد انصارها المتحمسين لها في شباب عرب جهلوا انهم عرب.

وبدافع من التعصب القومي الشريف ، اجبرت على ان اكتب مثل هذه الكلمات القاسية نوعاً ، عندما قرأت رد الدكتور « انيس فريحة » على نقاد كتابه في العدد التاسع من « الآداب » ووجدت فيه هـــذه التبريرات التي تشكل ثورة عنيفة في صميم اللغة ، وابرز ما رأيته وأثار دهشتي وثورتي معا ، الفكرتان التاليتان .

١ – « الاعراب في كل لغة ظاهرة بدائية »

لست على علم باللغات لأناقش هذه القضية ، وارد عليها ، وانما اترك امر مناقشتها العلمية لعلماء اللغة من العرب القوميين الذين يعتبرون قضية اللغة العربية قضية امة بكاملها ، امة كان ولا يزال للغتها اكبر الفضل في خدمة العـــلم والثقافة، امة عاشت اعنف التجارب الانسانية ، وصمدت لأقسى ضربات القدر ، بفضل لغتها ، ومقدرتها على الأداء والتعبير ، واتساعها الشامل للترجمة ، ونقل الآثار الأجنبية .. ولا اكتب (شعراً) ولا (خيالاً) ولا (الوك ماضيا) ولا (اعيش في قصور الاوهام والاحلام) عندما اقول هذا .

غير ان عدم اختصاصي بعلم اللغات لا يمنعني من ان اقدم رأيي لأبناء امتي على ضوء المصلحة العربية التي اعتبر من الجريمة بأبرز مكان ان يفكر مفكر عربي على غير ضوئها . واذا لم يكن رأيي مبنيا على اساس من علم اللغة ، فانه لن يعدم بناءه على اساس من التاريخ العربي ، والقومية العربية .

لم نقرأ في التاريخ عن لغة العرب الجاهليين انها كانت تستعمل الاعراب.. وانما كان العرب يتكلمون الفصحى بسليقتهم ، ويضبطونها بفطرتهم ، دون حاجة الى تعلم قواعد او اختلاف على اعراب . ولا احسبني بحاجة الى تقديم دليل على بلاغة اللغة العربية في الجاهلية ، وفصاحتها ، وانسانيتها ، فكل بيت من الشعر الجاهـــلي ، وكل جملة من الخطب الجاهلية ، وكل كلمة قالها العرب

الجاهليون تصح ان تكون مثالاً حياً ودليلاً ناطقاً بأقطع الحجج والبراهين على اصالة هذه اللغة ، وعظمتها وخلودها .. والذي تعلمناه من التاريخ هو ان اول واضع لقواعد اللغة العربية كان مسلما ، وهو «علي بن ابي طالب» ، وقضيته مع « ابي الأسود الدؤلي » مشهورة ، اذ وضع له اساس القواعد بقوله : (الكلمة ثلاثة اقسام اسم وفعل وحرف ، انح هذا النحو يا أبا الأسود) . والسبب الذي تنقله الرواية ، وتسند اليه وضع القواعد هو خوف الامام وصحبه على لغة العرب من تفشي اللحن بسبب (دخول الاعاجم واختلاطهم بالعرب) ..

واذن فالقضية قضية اعاجم يجهلون اللغة العربية ، وقد دخلوا الاسلام فتعلموا لغة العرب ، ولم يستطيعوا أن يجيدوها كأصحابها ، فأدخلوا اللحن عليها ، واللحن عيب في اللغة ، وخطر عليها ، ولا بد لها من ضابط يضبطها ويحفظها منه ، أي لا بد لها من قواعد ، فكان وضع القواعد لهذه الغاية .

وهكذا استمر التاريخ العربي يسير — كما نعلم — وتسير معه لغة العرب ، وازداد دخول الاعاجم ، وكثر اختلاطهم بالعرب حتى تكونت من جراء ذلك (لغة المولدين) العامية ، واصبح التكلم بها الى جانب الفصحى قضية واقعة لا مجال الى الهرب منها الا بالحرص على تقوية الفصحى ، واحكام قواعدها وتعليمها لأبناء الشعب العربي حرصا على سلامة لغتهم ، وحفظا لها من الاندثار .

وساعد تاريخ البلاد الاستعماري تلك اللغة العامية ، وشد من ساعدها ، وقد بلغت اوج مجدها في عهد الاستعمار التركي ، ولكن امرها ضعف في عهد الاستعمار الاوروبي ، ومالت الفصحى الى استعادة مجدها ومركزها الممتاز بعد دبيب روح الوعي في دماء وعقول الشباب الناضلين ، منذ ان لاحت تباشير النهضة الحديثة .

ولا أظنني بحاجة الى اقامة دليل على القول بأنه من غير المنطق ومن غير المعقول أن نعيش بالشاذ ، ونبتعد الطبيعي ، أي أن نتكلم لغة الاعاجم ، ونهجر لغتنا الاصلية ..

ان الامة العربية ومعها لغتها ، بحاجة الى بعث عربي جديد .

٢ — « العربية العامية تطور منطقي محتم »

ومما سبق ، يتبين ان العربية العامية ليست تطوراً منطقيا محتما ، الا من وجهة النظر الاستعمارية المريضة ، المصابة بروحها وعقلها معا .. اللحن عيب في اللغة .. أدخله غير العرب الى لغة العرب .. واللغة العامية خطر ماحق ، على العرب وجميع ما أنتجوه ، وما أبدعوه . انها خطر على وجودهم ، واستمرار بقائهم .. انها جريمة مرتكبة ، ولا بد لها من كفارة ، وكفارتها الوحيدة ، دعم اللغة الفصحى ، وتعليمها للناشئة .. وان الجبن كل الجبن ، والخور كل الخور ، والخيانة كل الخيانة ، في الانهزام من الميدان ، ميدان النضال لدعم وجود العرب من كافة جهاتـه ، ومن جهة اللغة العربية الأصيلة خصوصا ، لأنها مفتاح وجودهم ، وقفل بقائهم ، وفي الاستسلام لدعاوات أجنبية استعمارية تتآمر بوقاحة ، ودناءة على العرب وآثارهم ، في ماضيهم ، وحاضرهم ، ومستقبلهم ..

العربية العامية — يا سيدي الدكتور — تطور غير منطقي ، لا بل هو الشذوذ بعينه . فهل يا ترى للشذوذ منطق ، كما للطبع منطق ؟ . قد يكون ذلك . في بلاد العرب منذ سحيق الأزمنة ، لغة فصحى واحدة يتكلمونها ويسجلون آثارهم بها ، وقد يختلفون فيها ، الا انه اختلاف على الاعراض لا يمس صميم الجوهر ، انه اختلاف على بعض الضوابط ، واعراب بعض الكلمات ، وليس اختلافا على أساس اللغة ، ولا على شيء بارز الاهمية فيها .. اما اللغة العامية فليست واحدة ، ولا ندري ، ولا أدري ، كيف نقول ان عند العرب لغة عامية ، والواقع يشهد بأن عندهم في كل قطر ، وكل مدينة ، وكل قرية ، حتى وكل حي ، لغة عامية خاصة . ومن المتعذر أن يتفاهم أصحاب هذه اللغات العامية بلغاتهم العامية أو أن يسجلوا آثاراً مشتركة ، تربطهم بوحدة التاريخ ووحدة المصير . والذين لا يستطيعون أن يتفاهموا بلغاتهم ولا أن يسجلوا آثاراً مشتركة يعتبرون — بديهيا — أجانب في ما بينهم .. وما رأيكم ؟.. هل يفهم اللبناني الشعر العامي المصري أو العراقي ، أو هل يفهم العراقي الشعر العامي اللبناني أو المصري ؟.. وبالمقابل هل يتعذر على أحد منهم فهم الشعر العربي الفصيح من أي بلد او اي قطر عربي كان ؟ . .

رفقا باللغة العربية ايهـا المثقفون المتخومون بالثقافة الغربية لا بل رفقا بالأمة العربية ، عفواً ، بل رفقا بانفسكم ! فالأمة العربية أمة عريقة تستند على أساس راسخ وطيد من المدنية والثقافة والتراث الحضاري الخالد ، لا تخشى ، ولا يخشى ابناؤها على كيانها من التزعزع ، ولا على بنائها من الهدم ، وكل ما تخشاه هو ان تطول نكبتها بأبنائها الذين اساؤوا فهمها وفهم ما لها عليهم ، فتسيء هذه النكبة الى حياتها التي تريدها خلاقة ، مبدعة ، مساهمة ابداً بالتقدم الحضاري الانساني . . واللغة العربية لغة اصيلة ، لا تخشى ولا يخشى اصحابها المخلصون لها ، على روحها من الجدب ، ولا على رياضها من الاقفار ، لأنها مخصبة تحمل الخصب في اعماقها ، خضراء مزهرة تحمل في ذاتها ربيعا دائما ، وكل ما تخشاه ، هو ان تطول فترة سجنها ، فتقصر زمنا آخر عن الابداع والابتكار ، واغناء الثقافة الحديثة .

انا لا انكر ان اللغة العربية في وضعها الحالي ، وثوبها القديم ، تحتاج الى تطوير ، وتهذيب ، واصلاح ، وان علتها الكبرى كامنة في خطها وقواعدها . ولكني لا اذهب مع الذاهبين المنساقين بعزمهم او برغمهم مع تيار اجنبي دخيل الى القول باستعمال الخط اللاتيني لأني لا اريد ان يضيع تراث الآلاف من السنين ويحتفظ به في المكتبات الأثرية ، والمناحف ، وانا زعيم لا بل ضامن بأن محاولة من هذا النوع يستحيل تمامها ، لأن نسف اثر مشترك بين آلاف السنين يستحيل عمليا مهما طالت مدة العمل له ، واشتد الجهد المبذول من اجله . . فهلا فكرنا بالرجوع الى الكتابة المسمارية ، او الهيروغليفية ، (فهما على الاقل اثران عربيان) لنخلق مشكلة للبحث جديدة . وهذا غاية ما يريده المثقفون المتخومون ، فيا يبدو للناقد البصير . ولا اذهب معهم الى القول بالتحلل من القواعد والاعراب او النزول الى ميدان العامية على انها (اكثر مرونة واقدر على التعبير عن افكار العربي ، ومسايرة عقله ، واصدق في نقل افكاره وتسجيل آثاره) ، لأني ارى — على عكس ما يرون — ان اللغة الفصحى ملآ الصق بالذهن العربي ، واشد ملاءمة ، واقوى تعبيراً ، واصدق تسجيلا ، واعظم اداء ، واقدر تصويراً إلى ما هنالك . . ولأني جربت عمليا عشرات التجارب على تلاميذ المدارس الابتدائية ، وفي محافظات مختلفة من سوريا ، في شرح الدروس ، واختبارات الذكاء ، باللغتين العامية والفصحى . وكانت نسبة نجاح الفصحى نذير شؤم على انصار العامية . . لذلك ، ولاني استبعد عهد الشيوع والحرية الرخوة عن العرب ، واستنكره ، ارى ان العربي لا يجوز ان يعيش الا في النضال اللاهب من اجل الحياة الحرة الكريمة التي تؤهله ليشرف على العالم من علياء عليائه كالنسر المسيطر على الجو يتنزه في عوالم تحلم فيها خاشعة عجاف الطيور .

وختاما ، الى الاستاذ زكي الارسوزي ، والاستاذ سعيد الافغاني ، والاستاذ عبدالله العلايلي ، والدكتور أمين الخولي ممن اعرف جولاتهم الناجحة في اللغة والقومية ، والى شباب العرب الاحرار ، اسوق هذا التعليق البسيط ، لفتة نظر ، علهم يضعون ، بأدلتهم القاطعة حداً لهذا الهذيان اللغوي الذي لا تحصد منه الامة الا اسوأ النتائج ، ويوضحون الطريق امام الجيل العربي الصاعد .

جبله — **جميل حسن**